

كبائر ابن عربي^(١)

رئيس تحرير «مجلة الهدي النبوي» القاهرة؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛
وبعد:

فقد اطلعت في عدد جمادى الأولى سنة ١٣٨٥، من أعداد المجلة على شعر ابن عربي، الذي يسوي فيه بين الإسلام واليهودية والنصرانية والمجوسية ص (٤٣) من العدد المذكور، ومما لا شك فيه أنه لا يوجد عقل سليم يقبل هذا الضلال، وقد رأيت في هامش الصفحة:

«الهدي النبوي»: من كبائر ابن عربي حكمه بإيوان فرعون، وبأنه رب حق، وبأنه كان أعظم من موسى، وبأنه لا عذاب في الآخرة، وبأن الله هو عين كل شيء. فهل من الممكن أن تذكر لنا الدليل من كلامه هو، أو من كلام أحد الأئمة المتفق عليهم أنه قال ذلك؟ لأنه لا يزال بعض الأصدقاء يستدلون بكلامه، وهم معجبون به، وكلامكم ولا شك أعظم دليل يساعد على نصحتهم وبعدهم عن مثل هذا المنحرف؛ ونسأل الله أن يلهمنا الصواب، وتقبلوا تحياتنا.

عبد الرحمن عثمان

من قراء المجلة

«الهدي النبوي»:

هناك بعض الضلالات تحتاج إلى جهد فكري، ونسق بياني لإثبات ضلالها

ومجانبتها للحق وللصواب، أما ديانة ابن عربي وأتباعه فيكفي في إثبات أنها باطل يعربد على الحق القرآني مجرد تصورهما، فهي لا تحتاج إلى إعمال فكر، ولا إلى غمس قلم، وإنما تحتاج فقط إلى أن نعرف ما يقول القوم، وقد كتبنا عدة مقالات في هذه الصحيفة، وأصدرنا عدة كتب لم نحتج فيها إلى بذل الجهد، وإنما احتجنا إلى مطالعة كتب القوم، ونقل ما فيها من سفه الضلالة، وحماسة الباطل، وأجهدنا فقط الاختيار!! ففي كل صفحة من كتبهم كنا نعثر بباطل لا يباريك في أنه باطل!!.

ولسنا - شهد الله - نصدر فيما نقول عن حماقة عصبية، أو لجلجة مذهبية، وإنما نصدر عن إيمان وثيق بأن القرآن غير دين ابن عربي، وأن المسلمين غير أتباعه!!

وهي مغايرة الضد للضد، والنقيض للنقيض، ونصدر فيما نقول أيضًا عن حُبِّ الخير للناس، إذ نبصرهم بَعْدُ فأتاك يترأى أنه من الملائك.

نبصرهم بالشر الذي يقسم بأنه نضارة الخير، ولسنا ننتهي أبدًا أن يكون هؤلاء الناس من أصحاب النار، وإنما نود أن نكون وهم من أصحاب الجنة؛ إذ نلتقي على حب الله ورسوله ﷺ، كما لا نحارب الموتى كما يزعم بعض الذين يخشون أن ينكشف عوارهم، ولا نحارب قومًا ذهبوا، وزال تاريخهم، وإنما نحارب ما لهؤلاء الذين ذهبوا من تراث يتمثل في كتب كثيرة يحشد الباطل لطبعها ونشرها ودعوة الناس إلى الإيمان بها، والإذعان الخاشع لما فيها، والإلحاح عليهم ليدينوا بأنها هي المعبرة عن روحانية الإسلام.

نحن نحارب «فصوصه»، و«فتوحاته المكية»، وغيرها من كتبه التي حشاها بفحش الزندقة، وخبث الإلحاد.

ونحن لا نحارب «الغزالي»، وإنما نحارب كتبه التي صرفت الألوف عن الحق وعلى رأسها كتاب «الإحياء».

ونحن لا نحارب الشعراني، وإنما نحارب «طبقاته».

لا نحارب ابن عربي ولا الغزالي ولا الشعراني؛ لأنهم قد أفضوا إلى ربهم، والله سريع الحساب، ولا نضرع إلى الله أن يزوج بهم في النار، وإنما نأمل أن يكونوا قد أفضوا إلى توبة نصوح قبل أن يموتوا.

غير أن هذا لن يحول بيننا وبين أن نحذر المسلمين من هذه الكتب التي تجد الألوف من الجنيهاً؛ لتطبع وتنتشر، والألوف من الأيدي، لتباع وتشتري، والألوف من القلوب لتتمرد على الله.

ونشتد في التحذير من هذه الكتب، ونخلص في صدق الحملة عليها؛ لأنها تفسد العقيدة والخلق، والإنسان بلا عقيدة حيوان، والإنسان بلا خلق وحش غدور.

ثم إننا لا نقلد غيرنا فيما نكتب، وإنما ننقل في صدق وأمانة من كتب القوم مشيرين إلى الصفحات والطبعات التي عنها ننقل، حتى لا ندع ذوي الباطل وأحلاسهم أن يقولوا لنا: من أين؟ من أين جئتم بهذا القول؟

ثم لا يجوز لامرئ أن يسألنا بعد اليوم: وهل هذه الكتب منسوبة نسباً صحيحاً إلى أربابها؟ وهل أنتم واثقون أنهم المؤلفون لها؟ لماذا؟ لأننا قلنا: نحن لا نحارب موتى، وإنما نحارب التراث الحي، ولا يهمننا مطلقاً أن تكون هذه الكتب صحيحة، أو غير صحيحة، وإنما يهمننا أن كل تابع لابن عربي بها يؤمن، وعنها يصدر في اعتقاده، ويترضى عن أصحابها، ويثق في طوايا نفسه - كما نثق نحن -

أن هذه الكتب هي لأصحابها المنسوبة إليهم.

من كبائر ابن عربي:

ولقد سأل القارئ الكريم عما دمغنا به ابن عربي، وسنأتي بالدليل من كتاب واحد له ضارين صفحاً عما دمغه به الأئمة، فحسبنا ما يقوله هو، لا ما يقوله عنه الناس.

حكمه بإيمان فرعون:

يتحدث في كتابه فصوص الحكم فيما سماه: «فص حكمة علوية في كلمة موسوية» عن امرأة فرعون: (فقلت لفرعون في حق موسى: إنه قرّة عين لي ولك، فبه قرّت عينها بالكمال الذي حصل لها كما قلنا، وكان قرّة عين لفرعون بالإيمان الذي أعطاه الله عند الغرق، فقبضه طاهراً مطهراً ليس فيه شيء من الخبث، لأنه قبضه عند إيمانه قبل أن يكتسب شيئاً من الآثام، والإسلام يجب ما قبله) تراه في صراحته الكفرية يحكم بأن فرعون مات طاهراً مطهراً ليس فيه شيء من الخبث!! ضارباً صفحاً عن قوله سبحانه: ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَتَسَّ الْأَوْرَدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَتَسَّ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾﴾ [هود: ٩٧: ٩٩].

ثم تدبر قول ابن عربي عن فرعون: (فنجاه الله من عذاب الآخرة في نفسه، ونجى بدنه كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾ [يونس: ٩٢] لأنه لو غاب بصورته ربما قال قومه: احتجب، فظهر بالصورة المعهودة ميتاً، ليعلم أنه هو قد عمته النجاة حساً ومعنى^(١).

(١) (ص ٢٠١، ٢١١ / ج ١) فصوص الحكم لابن عربي، طبعة عيسى البابي الحلبي.

حكمه بأن فرعون هو الرب الأعلى:

زعم فرعون موسى أنه هو رب قومه الأعلى واستدل على ربوبيته بأن له ملك مصر، وأن له جنات تجري من تحتها الأنهار، ولعنه الله بما قال، فقال سبحانه: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ آخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ [النازعات: ٢٥].

أما ابن عربي الذي يصفه أتباعه بأنه الشيخ الأكبر، والكبريت الأحمر، أما هذا فيقول: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤] (أي: وإن كان الكل أرباباً بنسبة ما، فأنا الأعلى منهم بما أعطيته في الظاهر من التحكم فيكم، ولما علمت السحرة صدقه في مقاله لم ينكروه، وأقروا له بذلك)^(١) فهو هنا يقرر أن كل إنسان هو رب، أما فرعون فكان هو الرب الأعلى، بل حكم بأنه هو «عين الحق» كما جاء في ص (٢١١) من الكتاب، أي: عين الله.

فرعون هو عين موسى:

فرعون عدو الله، وموسى كليم الله، ومع وضوح هذه الحقيقة من القرآن، فإن ابن عربي يزعم في جرأة بالغة فيقول مثلاً: إن فرعون قال لموسى: (مرتبتي الآن المتحكم فيك يا موسى بالفعل، وأنا أنت بالعين وغيرك بالرتبة، فلما فهم ذلك موسى منه أعطاه حقه في كونه يقول له لا تقدر على ذلك، والرتبة تشهد له بالمقدرة عليه وإظهار الأثر فيه)^(٢).

يزعم ابن عربي أن الله هو عين كل شيء - كما سيأتي بيانه - وأنه هو عين موسى

(١) ص (٢١٠) المصدر السابق.

(٢) ص (٢٠٩) المصدر السابق.

وعين فرعون، وعين محمد ﷺ، وعين أبي لهب!! لكنه تختلف مراتبه في الصور التي يتجلى بها؛ فقد ظهر في موسى في صورة نبي، وظهر في صورة فرعون في صورة ملك له التحكم، ولهذا يقول عن فرعون إنه قال لموسى: (أنا أنت بالعين وغيرك بالرتبة) أي: حقيقتي هي حقيقتك فكلانا مظهر لحقيقة واحدة هي الربوبية، ولكننا مختلفان في الرتبة!! فأنت نبي وأنا ملك لي التحكم فيك!.

لا عذاب في الآخرة:

لقد حكم ابن عربي بأن الله هو عين خلقه، وبأن الإسلام هو عين اليهودية، فكان لا بد له من الحكم بأن الجنة عين النار؛ ليكون منسجماً عين باطله؛ يقول:

فلم يَبْقَ إلا صادق الوعد وحده وما لوعيد الحق عينٌ تُعَايَنُ
وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم على لذة فيها نعيم مُبَايَن
نعيم جنان الخلد فالأمر واحد وبينهما عند التجلي تباین
يُسَمَّى عذاباً من عذوبة طعمه وذاك له كالقشر والقشر صائن^(١)

الوعد هو النعيم، والوعيد هو العذاب؛ ولهذا يحكم ابن عربي بأنه ليس للوعيد وجود يوم القيامة كما يبدو في البيت الأول، وأن العذاب ما سمي عذاباً إلا لعذوبة طعمه كما يبدو في البيت الأخير!!.

الله عين كل شيء - ومعاذ الله -:

والنصوص في كتب ابن عربي تكاد لا تحصى ويكفي قوله: (الإله المطلق لا

(١) ص (٩٤) المصدر السابق.

يسعه شيء؛ لأنه عين الأشياء، وعين نفسه^(١).

وقوله: (تحقيقنا بالمفهوم، وبالإخبار الصحيح، أنه عين الأشياء، والأشياء محدودة، وإن اختلفت حدودها، فهو محدود بحد كل محدود، فما يُحدّ شيء إلا وهو حدّ الحق، فهو الساري في مُسمّى المخلوقات والمبتدعات، ولو لم يكن الأمر كذلك ما صح الوجود، فهو عين الوجود... فالعالم صورته، وهو روح العالم المدبر له، فهو الإنسان الكبير^(٢)). وهذا أوقع تعبير في الصراحة وألّعن تصريح، والحدُّ هو التعريف، وهو يحكم بأن ما نُعرّف به الأشياء يجب أن نعرّف به الله سبحانه، فإذا عرّفنا الإنسان والحيوان والجماد، كان هذا من تعريف الله؛ لأنه عين هذه الأشياء. هذا بعض ما يذكر، فإننا كتبنا كثيرًا عن هذا؛ وأضرع إلى الله أن يهب لنا الصدق في القول، والعمل بما يقول الله.



(١) ص (٢٢٦) المصدر السابق.

(٢) ص (١١١) المصدر السابق.

